
من حكايات الإمام
تأليف/ فريد محمد معوض
رسوم/ عبد الرحمن بكر
العودة
العلم والإيمان للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية / دسوق / ميدان المحطة / ش الشركات، ت: ٠٤٧/٢٥٥٠٣٤١ ـ ف: ٠٤٧/٢٥٦٠٢٨١.
رقم الإيداع: ٢٠٠٤/١٦٤٦٢
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-308-054-4
الطبعة الأولي: ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦
تحذير: يحذر النشر والنسخ والتصوير والاقتباس بأي شكل من الأشكال إلا بإذن وموافقة خطية من الناشر.

" كَمَا هِىَ دَوْماً دقَادُوس "

هكَذا قالَ الشيخُ وقَدْ أوقفَ سَيارتَه عَلى مقربةٍ مِنها، هَذِه المرةِ سَيستَقْبِلونَ الوزيرَ مَا أصعبَ ذَلِكَ عَلى نَفْسه.

هَلْ يقَيدُنِى هَذَا المنْصِب ؟

هَلْ يَمنعُنى مِنَ التنقلِ فى دروبِك الصغيرةِ ؟

رَاحَ يتأملُهَا، يعيدُ اكتشَافهَا مَا أجمَلهَا وهو قَريبُ مِنها تَأخذُ مكَانهَا داخِله، تَمنَّى أَنْ يكونَ فَانوساً مِنْ أجلِها - قَبَساً مِنْ نورٍ يضىءُ دروبهَا المعتَمةِ



ثمَّ أَصبحَ بِسَببِها ينظرُ إلى أى مَكان آخَر كَأنَّه جزءُ مِنهَا، " دَقَادُوس " علَّمَتَه أنْ يُصبِحَ فانوساً أَينَمَا صَارَ مضيئاً بريئاً مفِيداً للنَّاسِ عادَ يدقق النظرَ تَغيَّرت أشياءٌ وتَطَورَت أَشياءٌ وعَلتْ بعضُ الدورِ.

لَكنَّها هى كَما كَانَت دَوماً رائعةً سَاطعةً وخضرَتها يَانعَة، تلفُّ سَواقِيها، تضخُّ الحَياةَ فى عروقِها، ويرتفعُ صفصَافُها فى شُموخٍ وحَنانٍ كَانَت البدايةُ فِيها معَ القرآنِ، كُتَّاب سَيدنا السَّقفُ مِنَ الشَّجرِ وسعفِ النخيلِ، والساحةُ المقابلةُ للكُتَّاب حيثُ يجرِى الأولاد فى براءة يفتَحونَ صدورَهم للدنيَا ... وبَقيَت دروسُ العلمِ فِيهَا، كُلَّمَا أتَى رآهَا، تنشطُ بحضورهِ كلَّمَا أتَى دقادوسَ، لا تَكفُّ عن التغريدِ أَبداً.

تَبدو البيوتُ طيبةً، بلونِ الطفولةِ الجميلةِ :
هَل حَقاً صِرت فانوساً، أسألُ اللَّه أن أكَونَ كَذلِكَ
إنَّما يتقبلُ اللَّه مِن المتَّقين اللهمَّ اجْعَلنَا منْهُم.
تفرُّ الدمعَةُ مِنْ عينَيْه، يتذكرُ الحيلَ الصغيرةَ
التى مارسهَا حتى لا يذهبُ لمعهدِ الزقازيقِ ..
الآنَ صارَ لهذا المعهدِ مكانَة فى القلبِ انطلقَ
منه للدنيَا .. كالطير حلَّق للبلادِ المجاورةِ ..
انتشَرت خواطرَه الإيمانيَة التى أفاضَ اللَّهُ
عَليه بهَا، فى مكةَ .. تذكرَ بيتَه الشَعرِى الذى
وصفَ فيه قريتَه بأمِ القرىَ . ابتسمَ وهو يطالعُ
البيوتَ فى أمِّ القرىَ .... طافَ بلاداً كثيرةً.
وهَا هو يُصبح وزيراً للأوقافِ، يَالهَا من مهمةٍ
صَعبةٍ، كَان عَليه أنْ يتقَبلهَا، وهَا هو قَد فعلَ

دقَادوسَ تستقبلُ هذه المرة وزيرَها، ما أصعبَ ذَلكَ عَلى نفسهِ مازَالت السيارةُ واقفةً، حَطَت عينَاه على بطةٍ تسبحُ فى الماءِ، تمضِي واثقة فى سيرِها، ما أسعدَها تمَضِي بِلا وجَل وهو مازالَ متردداً ويلمحُه العائدُ من الحقلِ، يحملُ فأسَه على كتفِه ويصيحُ :



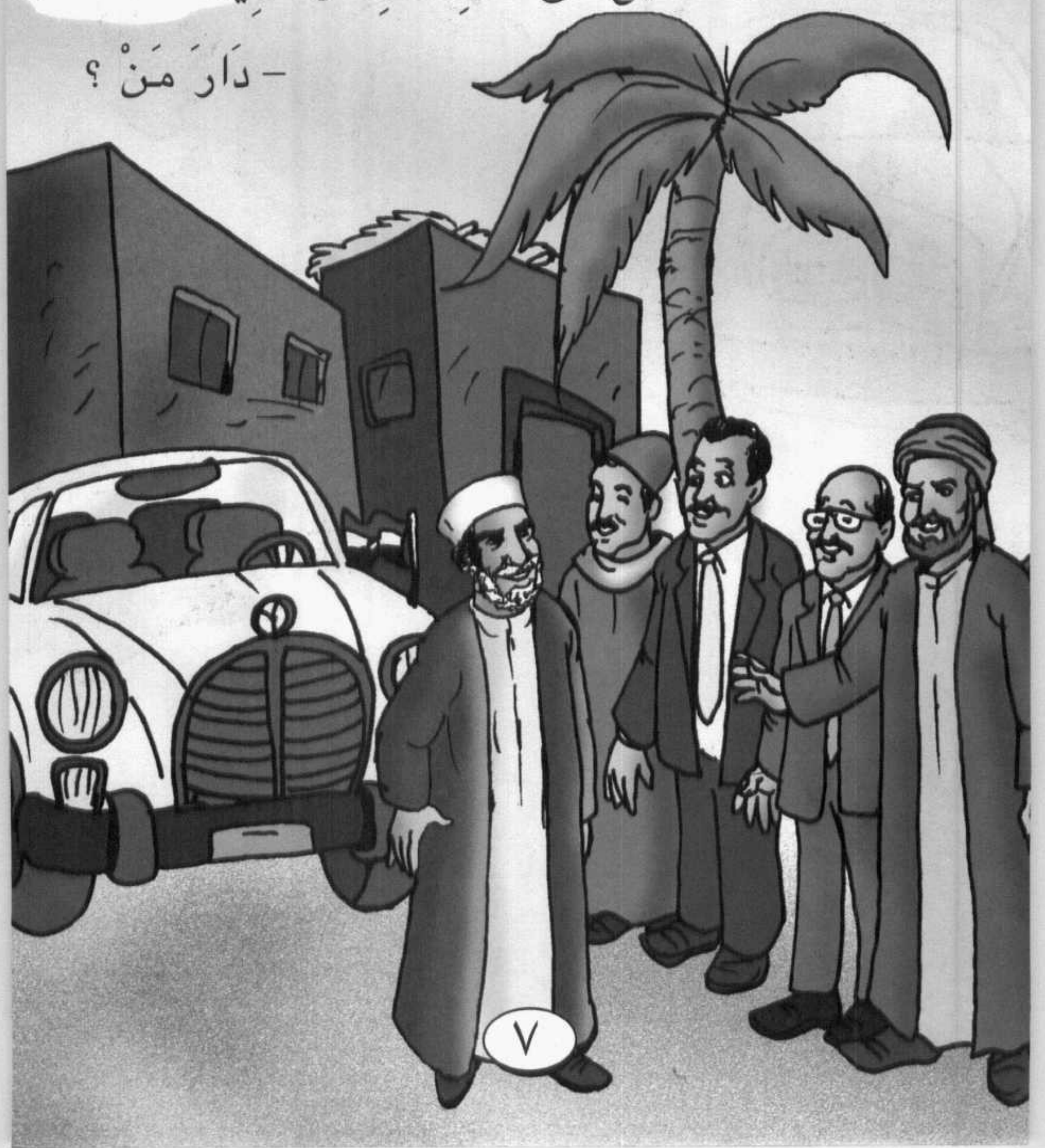
الوزيرُ وَصَلَ يا ناسُ.

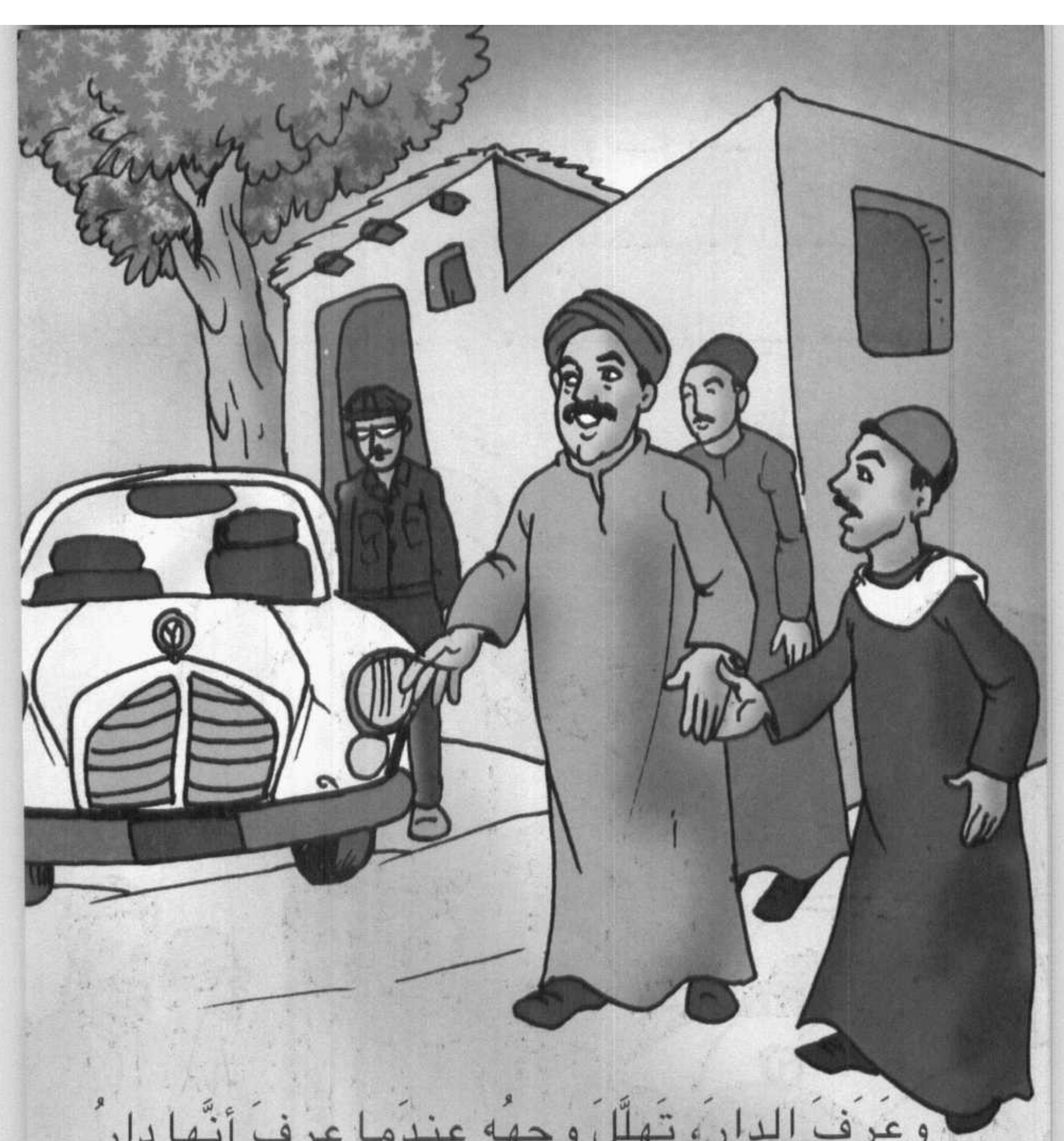
وتنفتحُ أبوابُ البيوتِ على مصرَاعيهَا، وتدبُّ الحَركةُ فى شوارعِ دَقَادوس، لَقَدْ وصلَ ابنُهَا إليهَا، ابنُهَا العَالم الجَليل والذىِ أصبَحَ وزيراً أَخيراً ابتسمَ الحظُّ لكِ يَادقادُوس .

وصَارَ منكِ الوزيرُ ... ارتفَعت باقاتُ الزهورِ وغصونُ الصفصافِ الخضرَاءِ، وعَلَت الزغاريدُ ورموزُ القريةِ يتقدَمونَ، ما أجمَلَه مِن مشهدٍ غَرَقَت سيارةُ الشيخِ فى محيطِ البشرِ تصَاعَدت كلماتُ الترحيبِ، نَزَلت الدموعُ مِنَ الأعينِ، لُوحِظَ وجودُ طفلٍ صغيرٍ يرقبُ المشهدَ مِنْ فوقِ سطحِ بيتِه، كَانَ بيدهِ كتابٌ، وكَانَ يدقِقُ النظرَ فى ملامحِ الشيخِ، أسعَدَه الحظُ أن

كانَ فوقَ السطحِ يذاكرُ دروسَه وسَمِعَ أصواتَ النـاسِ، الآنَ ينفردُ برؤيةِ الشـيخِ، والجـميلِ أنَّ الشيخَ من موضعهِ رآه، ابتسَمَ الشيخُ فابتسمَ الولدُ، همسَ الشَيخُ فى أذنِ أحدِ الواقفِينَ :

- دَارَ مَنْ ؟



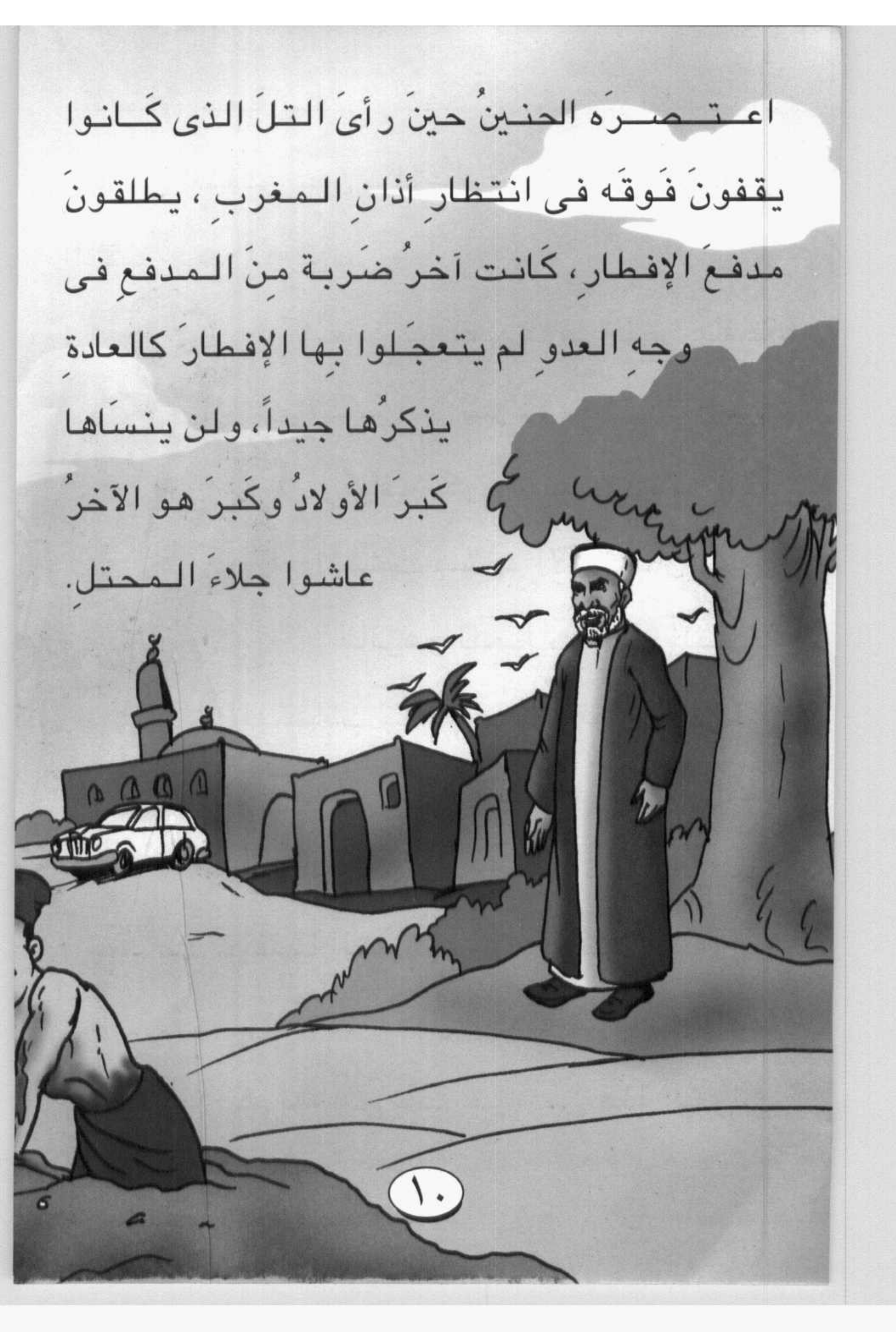


وعَرَفَ الدارَ، تَهلَّلَ وجهُه عندَما عرفَ أنَّها دارُ "بكرٍ" الرجلُ الطيبُ الذى يحبهُ النَّاسُ فى دَقَادوس، َتحَركَت السَّيارةُ، عَلَت الزغاريدُ مِنْ جديدٍ، دَقَت طبولُ الفرحِ، ارتفَعت الحَنَاجرُ

بالغناءِ، لحظة ملأَت النفسَ بالفرحِ والاعتدادِ
وآهٍ مِنَ النفسِ حينَ يملؤهَا الاعتدادُ، هَكَذا فكَّرَ
الشيخُ، وهَا هوَ يرددُ :

- والنفسُ مِنْ خيرِها فِي خَيرِ عَافيةٍ
والنفسُ مَنْ شَرِها فى مَرتَعٍ وخمٍ.

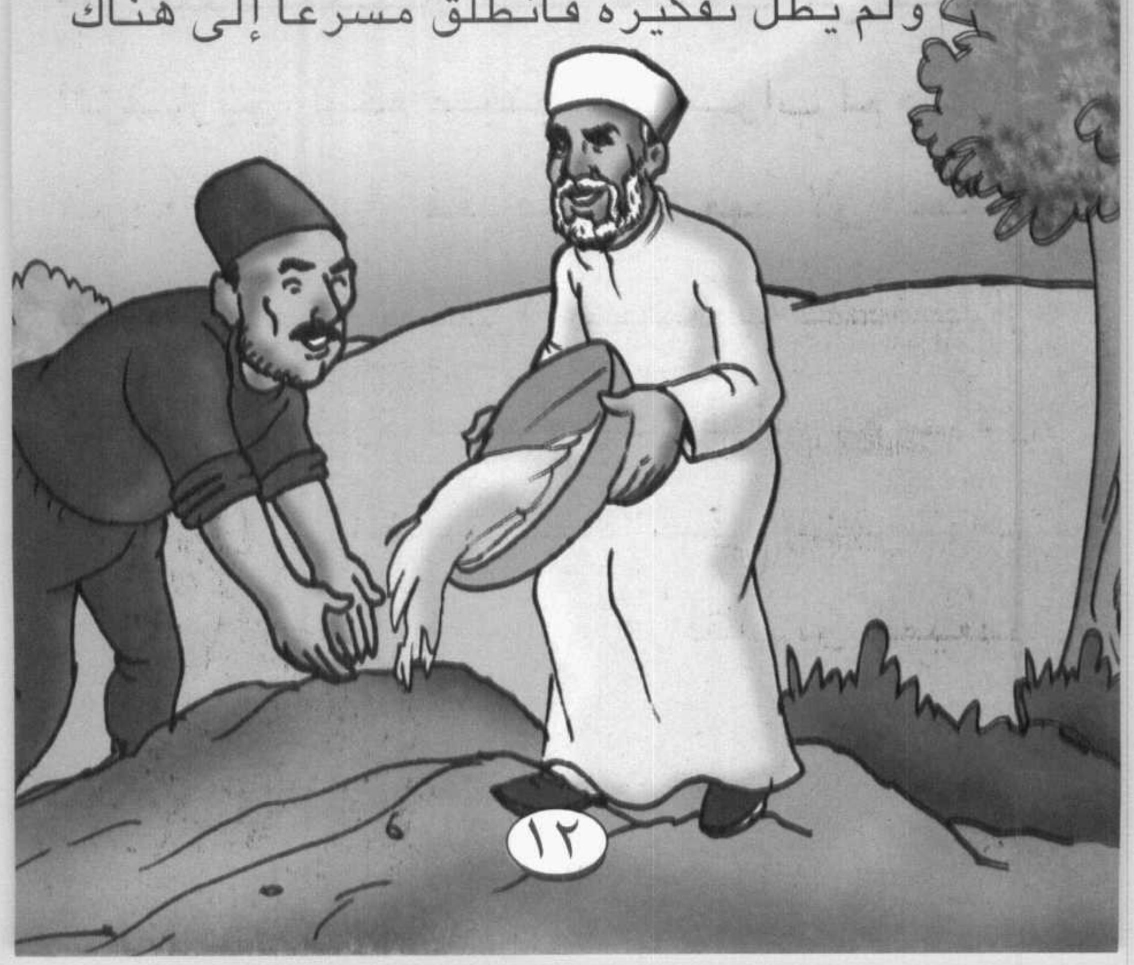
وكيفَ تكونُ النفسُ بخيرٍ وقَد
انتشَت بمشهدِ الاستقبالِ، شَعَر
بالزهوِ للحظات، تلك البدايةُ
للمصائبِ يَا محمدُ، النفسُ دوماً فى
حاجةٍ إلى الأدبِ هكذا يقولُ دائماً
وانطلقَت السيارةُ فى طريقِها
وتصاعدَ خلفَهَا الترابُ، راحَ ينظرُ إليهِ، إنَّه
ترابُ دقَادُوسٍ، يَعْلو بفعلِ الحركةِ ثم ينزلُ إليها
مهمَا علا، كم يشعرُ بأنَّه جُزء مِنَ هذا الترابِ



اعـتـصـرَه الحنـينُ حينَ رأىَ التلَ الذى كَـانوا يقفونَ فَوقَه فى انـتظارِ أذانِ الـمغربِ ، يطلقونَ مدفعَ الإفطارِ، كَانت آخرُ ضَربة مِنَ الـمدفعِ فى وجهِ العدوِ لم يتعجَلوا بِها الإفطارَ كالعادةِ يذكرُها جيداً، ولن ينسَاها كَبرَ الأولادُ وكَبرَ هو الآخرُ عاشوا جلاءَ الـمحتلِ.

عن البلادِ، وعَاشوا نصرَ العاشرِ مِنْ رمضَانَ وبقَى التلُّ كمَا هو، وهَا هِى الشَّجرةُ التى كَانَ يختبىءُ خَلفها فى لعبةِ الإستغماية، مَازالت شامخةً، يظلُ مستمراً خلفَها حتى ييأسَ الأولادُ وحينَ يتوقَعونَ وجودَه خلفَها ينتقلُ مِنها إلى أى مكانٍ، كَم كَانوا يحتالون فى لعبهِم الجَميلِ، يذكُر الآنَ عندَما احتالَ حتَى لا يذهبُ إلى معهدِ الزقازيقِ، أوجعَ عينيه بالترابِ لم ينْل إلا الوجعَ والاحمرارَ فقد دخلَ المعهدَ، لأن المعهدَ هو الذى اختَاره، تفوقَ محمدٌ به باستمرارٍ تَوقَفَت السيارةُ أمامَ البيتِ وصافَح بعضاً من الناسِ وفَجأة اختفَى الشيخُ توافدَ أهلُ دقَادُوس جَمِيعُهم.

لمصافحته ولا أثر للشيخِ، كثرَ الوافدون كلمَا
طالَ الغيابُ، توقَفت سيارات جديدةُ جَاء
أصحَابُها من البلادِ المجاورةِ، أطلقَت أصوْاتها
لتعلنَ عن وجودِها، والابن عبدَ الرحيم يبحثُ
عَنْ أبيه، ترُى أين ذهبَ، وبعدَ أنْ مَلَّ البحثَ
وَقَفَ ملياً يفكرُ، ترُى هَلْ ذَهَبَ إلى الأرضِ ؟
ولم يَطل تفكيره فانطلق مسرعاً إلى هنَاك



كَان يجرى بكلِ مَا أوتى من قوةٍ، عليه أن يصلَ بسرعةٍ، وعَليه أَنْ يسألَ مَنْ يقابلُه عسَى أَنْ يكونَ قَدْ رآه، وفجأةَ لمحَ رجلاً فليسأَله عَنه كَانَ الرجلُ منحَنياً فِى قلبِ الطينِ فى دَائرةٍ تُرابيةٍ غَمرَ الماءُ قَلبهَا، ورَاحَ يرفعُ الطينَ على حوافِى الدائرةِ لم يصدقْ الابنُ عَينَيه، اهتَزت الأرضُ تحتَ قدميهِ، كَانَت المفاجأةُ قويةً حينَ رَفعَ الرجلُ ظَهرَه ورآه الابن



صاحَ فى دَهْشَةٍ بَالغةٍ :

أبى .. مَاذا تفعلُ أَيُهَا الوَزير ؟

كَمَا أفَعَلُ دوماً عندمَا أُريدُ أنْ أؤدبَ نَفْسِي.

ويدركُ الابنُ المغزَى فيقولُ والدهشةُ مَازالتْ على وجههِ.

ومَاذَا فَعَلتْ نَفسك هَذه المرةِ ؟



امتَلأتْ زهواً وفَرَحاً باستقبالِ أهلِ دقادوسِ لهَا.

ويشيرُ الابنُ إلى الطينِ :

وتؤدبُها هكَذا ؟

ويردُّ الشيخُ بَاطمئنانٍ :

لأنَّ الزهوَ كَان كبيراً هذه المرةِ.

ويعاودُ الابنُ الكلامَ :

الناسُ ينتظرونَك يا معالىَ الوزيرِ.

يخرجُ الشيخُ مِنْ قلبِ الطينِ ليغتسلَ، ويسَارعُ الابنُ ليأتىِ لَه بالماءِ، ويقفُ الشيخُ كنخلةٍ خضراءٍ يتابعُ امتدادَ الأرضِ وسعةَ الفضاءِ والخضرةَ التى تملأُ العينَ، ثُم يرفعُ يدَيه لأعلىَ :

اَللهمَّ أعنِّى عَلَىَ نَفْسِى.

ويصبُ الابنُ الماءَ ويغتسلُ الأبُ، يتنهدُ مستريحاً ويرددِ : الحمدُ للَّهِ.

التقويـــــــــم:

١- ماذا كان يخشى الشعراوي من منصب (وزير) ؟

٢- كيف كان استقبال القرية لشيخها ؟

٣- النفس دوماً فى حاجة إلى أدب...... ؟

ما سبب قول هذه العبارة؟

٤- أين وجد الإبن أبيه الشيخ الشعراوي ؟

٥- ما الدروس المستفادة من قراءتك (سلسلة من حكايات الإمام)؟